

الروحية ، وفي جميع الاحوال فان النتيجة النهائية هي أن الحل القومي قد فشل في المنطقة تماما باستثناء واحد . ففي نظر ايلي غدوري « اللعنة الحقيقية » التي وفدت من الغرب الى الشرق لم تكن الامبريالية وذلك أنه « ثمة حقيقة بسيطة وواضحة ، ان المناطق التي يقال اليوم انها تعاني من الامبريالية لم تعرف طوال الجزء الاكبر من تاريخها سوى الحكم الاجنبي - وحتى مجيء القوى الغربية ، لم تكن خبرة هذه المناطق في انواع الحكومات سوى خبرة الحكم المتفطرس الجشع الاستبدادي غير المسؤول اذن فليس من هذه الناحية يكون نقد الوجود الغربي في اسيا وافريقيا » .

اللعنة الحقيقية التي أتت بها الغرب الى الشرق - دون تصد منه ، هي الفكرة القومية . انها « المرض - الوياء » الذي انتشر من غرب اوروبا مارا بالبلقان والامبراطورية العثمانية والهند والشرق الاقصى وافريقيا مقترسا بنية المجتمعات المستقرة ليتركها ضعيفة وبلا دفاع في مواجهة الحكام الجدد في ظل الدول القومية الوليدة - المغامرين والجهلة ، المجردين من الخلق يسومون هذه المجتمعات مزيدا من الفظائع والوحشية » .

ويقدم المؤلف النموذج التقليدي لكلامه هذا : الجماعات التي كانت تتكون منها الامبراطورية العثمانية ، ويعرض الكاتب للارمن والاشوريين ويهود العراق ، الارمن احمد السلطان عبد الحميد انتفاضاتهم بوحشية بالغة ، والاشوريين تركتهم بريطانيا لحكام العراق الجدد بعد استقلاله، اما يهود العراق فانهم تعرضوا للاضطهاد ثم المذابح عام ١٩١٤ ، ولم ينفذهم الا مجيء بعثة صهيونية من فلسطين تغريهم وتجبرهم كي يهاجروا ، وانتهى الامر بتصفية الطائفة اليهودية من العراق .

ويهاجم المؤلف اولئك الغربيين الذين كانوا يأملون خيرا من ادخال الاصلاحات في الامبراطورية العثمانية هؤلاء « جهلة ومتسرعين » وكل فريق ناصر فئة ومن هنا الفظائع التي ينطوي عليها مبدأ تقرير المصير القومي وما أدى اليه من هدم هذه الطوائف الصغيرة ذات الخبرة السياسية الضئيلة ، ثم يورد النص الذي سقتناه فيما سبق خاصا بانذار الغرب وهو يحاول اليوم ان يكرر التجربة .

الامبراطورية العثمانية وفي اعتاب انحلالها ، ولابراز وجهة نظره في الموضوع ينتقي ما حدث للارض في تركيا لليهود والاشوريين في العراق . وفي دراسة اخرى عن « الدين والسياسة » يعرض لموقف المسيحيين في النضال القومي العربي . والكاتب هنا لا يقدم دراسات تاريخية وحسب ، ولكنه في حقيقة الامر ينظر الى ما يجري اليوم في المنطقة ، ويبدى بشأنه رأيا - يقدم اسانيده من التاريخ . فبعد ما عرض لما حدث للارمن والاشوريين واليهود يقول أن هذا ينبغي ان ينفذ اليوم الغرب الذي يحاول أن يبني في الشرق اوطانا فيها يمكن أن يتعايش المسلمون والمسيحيون واليهود ، ويضيف « لقد كانت الدولة العثمانية قائمة على نفس التنظيم بطريقة تحقق الدقة لهذا الهدف المرغوب فيه ولكن الامبراطورية العثمانية كانت شيئا يعتوره النقص . كانت محافظة متحجرة وضيقة الافق لم تكن تعرف شيئا من الخصوبة والمرونة والفرص الموجودة في التقاليد الاوروبية . »

استاذ السياسة - اليهودي العراقي - هنا يكشف تماما الارض التي يقف عليها ، انه يتبنى في المشكلة التي يطرح الشكل العلماني لحلها الموقف الصهيوني بلا تحفظ ويسخر الدراسة التاريخية تأييدا له . يريد أن يقول أن النموذج الصهيوني هو وحده الذي يتفق وارضاع الشعوب في المنطقة وتفكيرها وتقاليدها . وهو في نفس الوقت يحاول أن يجعل هذه الارض وطريقة مواجهتها مشابهة لما واجهه اليهود في اوروبا - الامر الذي أدى الى ظهور الحل الصهيوني هناك .

قطبعا لما يقوله عالم الاجتماع الاسرائيلي ايزنشتات ، تعرض اليهود في اوروبا الى نوعين من التصفية : اما التصفية الروحية والثقافية بسبب القضاء على حياتهم التقليدية والطائنية بواسطة القوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الجديدة ، واما التصفية الجسدية والاقتصادية والسياسية بسبب عدم اندماجهم تماما في المجتمع ، وعدم قدرة المجتمع الحديث على استيعاب هذا العنصر الغريب .

ومن خلال دراسته عن « الاقليات » يبرز المؤلف ما حدث للارمن واليهود العراقيين والاشوريين على انه تصفية مادية ، اما في دراسته عن « الدين والسياسة » فهو يقدم صورة التصفية الثقافية